﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف: 74]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

بعد أن اعتذر موسى ﷺ من الخَضِر عن اعتراضه على خرق السَّفينة، وقبول الخَضِر لاعتذاره، وبعد نزولهما من السَّفينة وسلامتها من الغرقِ والغصْبِ، انطلقا إلى أنْ وجدا غلامًا لم يبلغ الحُلُم[1].

بعدَ قبولِ الاعتذارِ تابَعَ المتصاحبانِ رحلتَهما وقتلَ الخَضِرُ الغلامَ لحِكمةٍ

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿غُلَٰمًا﴾: أصلُ (غلم) يَدُلُّ على حَداثَةٍ وهَيْجِ شَهْوَةٍ، من ذلك: الغُلامُ: هو الطّارُّ الشّارِبِ[2]، وقيلَ: هو من حين يولَدُ إلى أن يَشِبَّ، ويُطْلَق أيضًا على الكَهْل[3]، والغُلامُ الابنُ الصَّغيرُ، ويُطلَقُ الغُلامُ على الرَّجُلِ مَجازًا[4]، أو الصّبي حين يولدُ إلى أنْ يَشبَّ، أو حين يقاربُ سنَّ البلوغ[5]، وقيل: الولدُ غلامٌ من ولادته إلى أنْ يحتلم، وأساسُ تسميته غلامًا هو اغتلامه؛ أيْ: بلوغه حالةَ الرَّغبة في الأنثى[6]، ومعنى ﴿غُلَٰمًا﴾ في الآية: صغيرًا لم يبلغ حدّ التّكليف[7]، وقيل: كان بالغًا شابًّا[8].

2) ﴿نَفْسًا﴾: النَّفْسُ: الرّوحُ، من قَوْلِكَ: خَرَجَتْ نَفْسُ فُلانٍ؛ أَيْ: روحُه، والنَّفْسُ: جملةُ الشيءِ وحقيقته، تَقولُ: قتَلَ فلانٌ نَفْسَه؛

(1) البِقاعي، نظم الدُّرر: 12/ 112.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غلم).
(3) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (غلم).
(4) الفيومي، المصباح المنير: (غلم).
(5) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (غلم).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصَّل: (غلم).
(7) الواحديّ، التفسير البسيط: 14/ 91.
(8) ابن عطية، المُحرَّر الوجيز: 3/ 532.

أَيْ: أَوْقَعَ الإِهْلاكَ بذاتِه، وسُمّيت النفْس نفْسًا لتولّدِ النّفَس منها واتّصاله بها، ويُطلق النَّفْس على الدَّم، وسُمّيَ الدَّمُ نَفْسًا؛ لأَنّ النَّفْس تَخْرُجُ بخُروجِه[1]، والنَّفْسُ: الجَسَدُ، والنَّفْسُ: عَيْنُ الشَّيْءِ وكُنْهُه وجَوْهَرُه[2]، والمُرادُ بـ ﴿نَفْسًا﴾: يمكن أنْ تكون هي ذات الغلام وحقيقته وروحه وجسده.

3) ﴿زَكِيَّةً﴾: أصلُ (زكى) يدلُّ على نَماءٍ وزيادةٍ، وأصلُ الزكاة يرجعُ إلى النَّماءِ والطَّهارَةِ[3] والبَركةِ والمَدْح، والزَّكاةُ: الصلاحُ، والزَّكاةُ: صفوةُ الشَّيْءِ، وأَرضٌ زَكيَّةٌ: طيِّبةٌ سَمينَةٌ[4]، والزَّكاةُ: النّموّ الحاصل عن بركة اللّه تعالى، ويعتبر ذلك بالأمور الدّنيويّة والأخرويّة[5]، ومعنى ﴿زَكِيَّةً﴾ في الآية؛ أيْ: طاهرة بريئة من الذنوب[6].

4) ﴿نُّكْرًا﴾: أصلُ (نكر) يدلُّ على خِلافِ المَعْرِفَةِ الَّتي يَسْكُنُ إِلَيْها القَلْبُ، ونَكِرَ الشَّيْءَ وأَنْكَرَهُ: لَم يَقْبَلْهُ قَلْبُهُ ولَم يَنطِقْ به لسانُهُ، فالنُّكْرُ: الدَّهْيُ، والنُّكْراءُ: الأَمرُ الصَّعْبُ الشَّديدُ[7]، والإِنْكارُ: الجُحودُ، والنُّكْرُ والنُّكْراءُ: المُنْكَرُ، والمُنْكَرُ من الأَمر: خِلافُ المَعْروفِ، وكلُّ ما قَبَّحَهُ الشَّرْعُ وحَرَّمَهُ وكَرِهَهُ فهو مُنْكَرٌ[8]، ونَكُرَ الأمرُ: صعُبَ واشتدّ، وقبُحَ وكرهته النَّفس وصار مُنْكرًا[9].

ومعنى ﴿نُّكْرًا﴾ في الآية؛ أيْ: فظيعًا عظيمًا مُنكرًا لا يُعرف[10].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

خرجَ موسى مع الخَضِر من السَّفينةِ يمشيان، فأَبصرا غلامًا؛

قتْلُ الغلامِ في ظاهره فعلٌ تُنكرُه العقولُ وتُحرّمه الشّرائع والنّقولُ

(1) ابن منظور، لسان العرب: (نفس).
(2) الزّبيدي، تاج العروس: (نفس).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (زكى).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (زكا).
(5) الرّاغب، المُفردات، ص: 380.
(6) الواحدي، التفسير البسيط: 14/ 91، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 236.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نكر).
(8) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيدي، تاج العروس: (نكر).
(9) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (غلم).
(10) الواحدي، التفسير البسيط: 14/ 92، والمراغي، تفسير المراغي: 15/ 179، وطنطاوي، الوسيط: 8/ 556.

فقتله الخَضِرُ، فأنكرَ موسى إنكارًا أشدّ من الأوّل، وبادرَ فقال: كيف قتلتَ نفسًا صغيرةً لم تَعْمَلِ الخُبثَ ولا حملتْ إثمًا بعد بغيرِ مستندٍ لقتله؟! لقد فعلتَ أمرًا مُنكرًا عظيمًا، فالعقولُ تُنكرهُ، والنُّفوس تنفرُ منه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الفاء في جملة ﴿فَٱنطَلَقَا﴾:

في العطفِ تفريعٌ وتعقيبٌ، وفيه سببيّةٌ وإفصاحٌ

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ عاطفةٌ؛ تفيد التَّعقيبَ؛ أيْ أنَّهما عقبَ قبولِ الاعتذارِ انطلقا[2]، وتُفيدُ التفريعَ؛ أيْ: يتفرّعُ عن قبولِ الاعتذارِ متابعةُ الرّحلة بالانطلاق[3]، والسّببيَّة؛ أيْ إنّه بسببِ قبولِ اعتذارِ الخَضِرِ والاتفاقِ على متابعةِ المسير[4]، وقد تكونُ فصيحةً؛ إمّا أفصحتْ عن محذوفٍ عُطفَ عليه الانطلاق، تقديره: "فقَبِلَ عُذرَه فخرجا من السّفينة فانطلقا"[5]، أو أفصحتْ عن جوابِ شرطٍ مُقدَّر، هو المعطوف عليه، تقديره: إذا عرفتَ ما تقاولا، وأردتَ بيانَ حالِهما بعد ذلك فأقولُ لك: ﴿فَٱنطَلَقَا﴾[6].

سرّ التّعبيرِ بلفظ ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ دون غيره:

بيان حرصِ كلٍّ مِنَ المعلِّمِ والمُتعلِّمِ على إكمالِ الرِّحلةِ

عبّر البيانُ القرآني بقوله: ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ دون غيرها من الألفاظ؛ فلم يَقُلْ مثلًا: (فذهبا) أو (فمضيا) أو (فسارا)، لكون لفظ الانطلاقِ أنسبَ للسّياق؛ إذ أصلُ الانطلاق يَدُلُّ على التَّخْلِيَةِ والإرسالِ[7]، والانطِلاقُ: سُرعَةُ الذَّهابِ[8]، وانْطلقَ الظَّبيُ: مرَّ سَريعًا

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 183، والمراغي، تفسير المراغي: 15/ 179.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4561.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 377.
(4) القونوي وابن التَّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 12/ 132.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 235، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 318، والقونوي وابن التَّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 12/ 134.
(6) الهرري، حدائق الروح والريحان: 16/ 456.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طلق).
(8) ابن سيدَه، المُحكم، وابن منظور، لسان العرب: (طلق).

لا يلوي على شَيء[1]، والانطلاقُ: الاندفاعُ بقوّة ابتعادًا أو انبساطًا[2]، وهذه المعاني تتناسبُ مع حرصِ موسى والخَضِر على استمرارِ الرحلة العلمية، والاستفادةِ والإفادةِ منها بأكبر قدرٍ ممكنٍ، فهما ذهبا مُسرعيْن مُندفعيْن بقوّة لإكمالِ رحلتهما، مما يُشعر القارئ والمتابع للقصّة أنَّ كلًّا من موسى والخَضِر ﷺ فرِحا باستمرار هذه الصُّحبة، وأنّ الخَضِر قد قبل اعتذار موسى قبولًا كاملًا[3].

معنى ﴿حَتَّىٰٓ﴾ في سياق الآية الكريمة:

بيانُ استمرارِ انطلاقِهما إلى أَنْ لقيا الغلامَ

﴿حَتَّىٰٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ يحتملُ أنْ تكون بمعنى (الفاء)، والتقدير: (فانطلقا فإذا لقيا)، ويحتملُ أنْ تكون بمعنى (إلى)، والتقدير: (فانطلقا إلى أنْ لقيا)[4].

والأقربُ هنا أنْ تكونَ لانتهاءِ الغاية كـ (إلى)؛ لأنّ الحدثَ استغرقَ زمنًا، ولم يكن فوريًّا؛ إذْ في الكلام إيجازٌ، دلّ عليه قوله: ﴿إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا﴾، وتقدير الكلام: انطلقا يمشيان بالساحل حتّى لقيا غلامًا فقتله، وهي غاية انطلاقهما معًا[5].

التّعبير بـ﴿إِذَا﴾ دون (إنْ):

إلماحُ السّياقِ إلى سرعةِ قتلِ الغلامِ وتأكّد موته

عبَّر القرآن بـ﴿إِذَا﴾ في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا﴾؛ إمّا لأنَّ ﴿إِذَا﴾ ظرفٌ للزَّمانِ الماضي هنا، وليستْ متضمِّنةً معنى الشَّرط، ليؤذنَ ذلك بأنَّ الخَضِر أخذَ في قتلِ الغلام وقت التقى به، بما يشيرُ إلى أنّ لقيا الغلام كان لأجلِ قتله، ويؤكّد ذلك تقديم الظرف ﴿إِذَا﴾ على عامله اهتمامًا به، وجاءت الفاء في ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ التي تفيدُ التعقيبَ لتأكّد المبادرة المفهومة من تقديمِ الظرف، فكانت المبادرةُ بقتلِ

(1) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط: (طلق).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصّل: (طلق).
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4561.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/ 470.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 374، 377.

الغلامِ عند لقائه أسرع من المبادرة بخرقِ السفينة حين ركوبها[1]، وبهذا يظهرُ لنا أنّ القرآنَ لم يستعملْ (إن)؛ لكونها تأتي للشّرطيَّة، وليس فيها معنى الظّرفيَّة، بخلاف ﴿إِذَا﴾.

أو أنْ تكون ﴿إِذَا﴾ شرطيّة، والتقدير: (حتى إذا لقيا غلامًا فقتله قالَ أَقَتَلْتَ)؛ أيْ: ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ من جملةِ الشرطِ معطوفًا عليه، والجواب: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ﴾[2]، وبهذا يكونُ استعمال ﴿إِذَا﴾ - التي تختصُّ بدخولها على المتيَقَّن والمظنون والكثير الوقوع، دون (إنْ) التي تُستعمل في المشكوكِ والموهومِ النّادر[3] - أنسبَ للمقام؛ إذ إنّ قتلَ الغلام أمرٌ مُشاهَدٌ مُتيقَّنٌ.

ويمكن أنْ يُقال كذلك إنّ ﴿إِذَا﴾ سبقها حرف ﴿حَتَّىٰٓ﴾، وهي لا تدخلُ على حرفٍ مثلها، بل تدخلُ على جملةٍ اسميّة أو فعلية، فلو جاءَ بعد ﴿حَتَّىٰٓ﴾ حرف (إن) لاستلزمَ ذلك أنْ تدخلَ على حرف، وهذا لا يصحّ.

دلالة التّعبير بالفعل الماضي ﴿لَقِيَا﴾:

لقاءُ الخَضِرِ وموسى بالغلامِ لمرّةٍ واحدةٍ أعقبها القتل

استعملَ البيانُ القرآنيّ الفعل ﴿لَقِيَا﴾ بصيغةِ الماضي في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾؛ لأنَّ اللِّقاءَ قد حدثَ وتمَّ وانتهى، ولم تكن الغاية تصويرَ حدَثِ اللقاء واستمراره؛ وإنّما إفادة أنَّ مقابلتهما للغلام كانت مرّةً واحدة؛ إذ أعقبه القتل، كما أنّ التعبيرَ بالماضي يتناسبُ مع السياق الذي استعملَ الأفعالَ بصيغةِ الماضي: ﴿فَٱنطَلَقَا﴾، ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾، ﴿قَالَ﴾، ﴿جِئْتَ﴾، إذِ الأفعالُ كلّها حكايةٌ عن أحداثٍ وقعتْ وتحقّقتْ ومضت.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 375، 377.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 736، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 289، والبِقاعيّ، نَظْم الدّرر: 12/ 112، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 8.
(3) السّيوطي، الإتقان: 2/ 178.

دلالة الفاء في قوله ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾:

تاكيدُ مبادرةِ الخَضِرِ بقتلِ الغلامِ فورَ لقائه تنفيذًا لأمر الله الحكيم

الفاء في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ أفادتِ التَّعقيبَ والتَّرتيبَ والفوريَّة؛ أيْ إنّ القتلَ ترتّبَ على لُقْيا الغلام، وجاء عقِبَه فورًا، وفي ذلك تأكيدٌ لمبادرةِ الخَضِر - قتل الغلامِ فورَ لقائه دون تراخٍ - التي أفادها تقديمُ الظرف ﴿إِذَا﴾ على عامله.

وبهذا يكون دخولُ الفاء على كلمة ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ دون كلمة ﴿خَرَقَهَا﴾ في الآية السّابقة قد أفادَ أنَّ المبادرة إلى القتلِ كانتْ أسرعَ من المبادرةِ بخرقِ السَّفينة حين ركوبها[1].

وحتى على رأي مَن قال بأنّ ﴿إِذَا﴾ شرطيّة، فإنَّ الفاء في قوله: ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ عاطفةٌ على فعلِ الشرط، تفيدُ التعقيب؛ أيْ: "فقتله حين لَقيه"[2] "من غير تروٍّ واستكشافِ حالٍ"[3].

مرجع الضَّمير في قوله ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾:

عودُ الضّميرِ في الجملة اختصارٌ مفهومٌ من السّياق

(هاء) فعل ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ ترجعُ إلى الغلام؛ لأنَّه أقربُ مذكور، وهذا ظاهرٌ في الاتِّصال بين الجملتيْن بحرفِ الفاء، وفي التعبيرِ بالضمير وعدمِ التصريحِ بلفظِ الغلامِ اختصارٌ في الكلام؛ إذ قد سبقَ ذِكْره في الآية، وإشارةٌ إلى سرعةِ الإخبارِ عن قتلِ الخَضِرِ للغلام، بما يومئُ ببيانِ سرعةِ اعتراضِ موسى بقوله: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ﴾.

سرُّ فصل جملة ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ﴾ عمّا قبلها:

العلاقة بين شدّةِ اعتراضِ موسى وردّةِ فعله الفوريّة

فَصَلَ القرآنُ الكريم جملة ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ عن الجملة التي قبلها، ولم يربطهما بعاطف؛ لما بين الجملتيْن من

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 377.
(2) البِقاعيّ، نَظْم الدّرر: 12/ 112.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 288، والقونوي وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 12/ 135، وعلى هذا الرأي يكون جواب الشرط: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ﴾.

كمالِ اتّصالٍ؛ إذ إنّ الجملةَ الثانية جاءتْ جوابَ شرطٍ لقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾؛ أيْ: جعلَ البيانُ الإلهيُّ اعتراضَ موسى جزاءً؛ لأنَّ القتلَ أقبحُ من خرقِ السفينة والاعتراضَ عليه أدخَلُ، فكان جديرًا بأنْ يُجعَل عمدَة الكلام[1]، وذلك عند مَنْ عدّ ﴿إِذَا﴾ شرطيَّة، أو لما بين الجملتين من شبه كمالِ اتّصالٍ؛ إذ إنّ قوله تعالى: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ مبنيٌّ على سؤالٍ مُقدّرٍ نشأ من السّياقِ؛ وذلك أنّه بعد قتلِ الخَضِر الغلامَ كأنَّه قيل: ماذا فعل موسى لمّا رأى قتل الخضر للغلام؟ فقيل: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ﴾.

المُراد بالاستفهام في قوله ﴿أَقَتَلْتَ﴾:

السّياق بين استخبارٍ عن المقصدِ وإنكارٍ لفعل القتلِ

يحتملُ معنى الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ﴾ أنْ يكونَ استخبارًا أو إنكارًا؛ فأمّا استفهامُ الاستخبارِ فهو سؤالُ بحثٍ عن مقصدِ الخَضِر من قتل الغلام، وذلك لعلم موسى ﷺ أنَّ الخَضِرَ لا يتعدّى في حقوقِ اللّه تعالى ولا يتجاوزها، وأمّا استفهامُ الإنكارِ فهو إنكارٌ من موسى على الخَضِرِ لقتله الغلام، ويؤيّده قولُ موسى بعدها مباشرة: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾[2].

سرُّ المغايرة بين لفظي ﴿غُلَٰمًا﴾ و﴿نَفْسًا﴾:

الجمعُ بين زيادةِ التعجّبِ من القتلِ، وزيادةِ المبالغةِ في إنكاره

عبّر القرآن في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ بلفظِ الغلام، بينما عبّر بلفظِ النفسِ في قوله: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾؛ لمناسبةِ كلِّ لفظٍ منهما لسياقه القريبِ الوارد فيه، فأمّا سياقُ ذِكْرِ الغلامِ فهو سياقُ حدوثِ القتلِ، سواءٌ بما يدلّ على زيادةِ تعجّبٍ من موسى واشمئزازِ نفسه من قتلِ غلامٍ صغيرٍ، ورفضه رفضًا كاملًا، أو بما يكون فيه إيماءٌ إلى استحقاقِ الغلام ذلك وتبرير للخَضِر من هذا الفعل؛ إذِ الغلامُ في اللغة مَن ظهرتْ

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 289.
(2) الماوَرْدي، النُّكت والعيون: 3/ 329.

عليه علاماتُ الغلومة[1]، وهي أنْ يغلبَ عليه الشّبقُ والميلُ إلى النساء، ولهذا إنَّما جازَ قتله لأنَّه كان بالغًا عاصيًا، وقد كان شابًّا بلغَ سنَّ التَّكليف ويقطع الطريق[2]، ويؤيّد ذلك قول موسى: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾، وأمّا سياقُ ذِكْرِ النفسِ فهو سياقُ الإنكارِ على القتل، ولذا عُبّر بما فيه زيادة مبالغة في إنكارِ القتلِ وبيانِ فظاعته؛ ولقصدِ التفنّنِ في أسلوبِ الكلام؛ إذ لمّا أتى بلفظِ الغلام أتبعهُ بلفظِ النَّفْس التي معناها في الآيةِ ذات الغلام وحقيقته، وتحقيقِ الجناسِ اللفظي التامّ المماثل بين لفظتيْ ﴿نَفْسًا﴾ و﴿نَفْسٍ﴾؛ لكونهما اتّفقا في نوعِ الحروفِ وشكلها وعددها وترتيبها، وهما من نوعٍ واحد؛ إذ كلاهما اسمان، ولو قال: (أقتلتَ غلامًا بغيرِ نفس) لَما تحقّقَ هذا الجناس.

سرُّ التّعبير بكلمة ﴿زَكِيَّةً﴾ دون غيرها:

انتقاءُ اللّفظ يُفيد اتّساع الدّلالة وشمول المعنى المُستفاد

عبّر البيانُ القرآنيُّ بكلمة ﴿زَكِيَّةً﴾ في قوله تعالى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ لاتّساع دلالتها؛ إذ أصلُ (زكى) في اللغة يدلُّ على نَماءٍ وزيادَةٍ، وكذلك يأتي بمعنى الطَّهارة والنَّقاء، ويعتبرُ ذلك بالأمور الدّنيويّة والأخرويّة[3]، ولذلك ذَكَرَ المُفسِّرون في معناها أقوالًا؛ منها: أنّها التّائبة والطّاهرة من الذنوب[4]، والنّامية الزّائدة، والمسلمة، والتي لم يَحِلّ دمها، والتي لم تعمل الخطايا[5]، ولو عبّر البيانُ القرآنيُّ بأحدِ هذه المعاني لَما شملَ بقيّة المعاني، وأمّا صيغتها؛ فهي على وزن (فعيل)، وهي صفةٌ مُشبّهةٌ من صيغ المُبالَغَة التي تُفيدُ الثبوت والدوام.

توجيه القراءات الواردة في قوله ﴿زَكِيَّةً﴾:

إظهارُ براءةِ النَّفسِ في طَهارتها ونمائِها من البيان المفيد

في قوله تعالى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ قراءتان متوترتان[6]؛ إذ

(1) الراغب، المُفردات، ص: 613.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 22.
(3) الأزهري، معاني القراءات: 2/ 115، والرّاغب، المفردات، ص: 818.
(4) البِقاعيّ، نَظْم الدّرر: 12/ 113، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 74.
(5) الماوَرْدي، النُّكت والعيون: 3/ 330.
(6) الدّاني، التيسير، ص: 144، وابن الجزري، النشر: 3/ 313.

قرأ حمزةُ وابنُ عامر وعاصمٌ والكسائيُّ ورَوْح عن يعقوب ﴿زَكِيَّةً﴾ بغيرِ أَلِفٍ مع تشديدِ الياء على وزنِ صفةٍ مُشبَّهةٍ بالفاعل، وقرأ نافعٌ وابنُ كثير وأبو عمرٍو وروَيس عن يعقوب: ﴿زَاكِيَةً﴾ بإثباتِ الألف وتخفيف الياء على وزن (فاعل)، وهما لغتان: ﴿زَكِيَّةً﴾ و﴿زَاكِيَةً﴾؛ مثل: (قَسيّة) و(قاسيَة)[1].

وفي التّعبيرِ بكلا القراءتيْن توكيدٌ، سواء أكان التّعبير بالصّفة المشبهة ﴿زَكِيَّةً﴾ التي هي من صيغِ المبالغة، وتُفيدُ الثبوت والدوام، أم التعبير باسمِ الفاعل الذي يدلّ على حدثٍ ثابتٍ غير محدّدٍ بزمن، بما يُعطي للمعنى مزيدًا من المبالغةِ في الثبوتِ والدّوامِ والاستمرارِ لا مجرّد الحدوث.

وأكثرُ المفسّرين على أنّ هاتيْن القراءتيْن بمعنىً واحد[2]، يقول الطّبريّ: "وذلك هو الصواب عندي؛ لأنّي لم أجد فرقًا بينهما في شيءٍ من كلام العرب"[3]، والمعنى هو: إمّا التّائبة، أو الطّاهرة من الذنوب[4]، أو النّامية الزّائدة، أو المسلمة، أو التي لم يحلّ دمها، أو التي لم تعمل الخطايا.

ومنهم مَن قال: إنَّ بين (الزّاكية) و(الزّكيّة) فرقًا؛ وهو أنّ (الزّاكية) في البدن، و(الزَّكية) في الدّين، أو أنَّ (الزَّكيَّة) أشدُّ مبالغةً من (الزّاكية)، أو أنّ (الزّاكية) الَّتي لم تُذنب، و(الزَّكيَّة) الَّتي أذنبتْ ثمَّ تابتْ فغفر لها[5].

معنى حرف الجرّ الباء في شبه الجملة ﴿بِغَيْرِ﴾:

معنى الباء في قوله تعالى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾

قـتـلُ الـخَـضِـرِ للغلامِ بلا سببٍ علةٌ لشدّةِ إنكارِ موسى

(1) الأزهري، معاني القراءات: 2/ 115.
(2) الأزهري، معاني القراءات: 2/ 115.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 75.
(4) البِقاعيّ، نَظْم الدّرر: 12/ 113.
(5) الماوَرْدي، النُّكت والعيون: 3/ 330.

السّببيّة؛ لأنّها دخلتْ على سببِ الفعل[1]، وهي مُتعلّقةٌ بالفعل ﴿أَقَتَلْتَ﴾، والتقدير: (قتلتَه بلا سببٍ)، ويجوز أنْ تتعلّق بمحذوف؛ أيْ: قتلتَ قتلًا بغير نفسٍ[2].

فائدة ذِكر القيد ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾:

في القتل بغير سببٍ حجّةٌ قويةٌ لإنكارِ موسى على الخَضِرِ

جاءَ البيانُ القرآني بقيد ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾؛ ليكونَ سببَ إنكارٍ من موسى للخَضِر بأنّ القتلَ كان بغيرِ سببٍ مشروعٍ؛ أيْ أنّ هذه النّفس "لم تقتلْ نفسًا فيُقتصّ منها"[3]، وهذا يدلُّ على أنَّه كان بالغًا، حتى إذا قتلَ قتيلًا أمكنَ قتلُه به، إلا أنْ يكون شرعُهم لا يشترطُ البلوغ، وكونه بالغًا رجّحه كثير من المُفسِّرين، وأوّلهم ابن عباس ﷺ، ووردَ عنه وعن أبيٍّ ﷺ قراءة تفسيرية: (وأمّا الغلامُ فكان كافرًا وكان أبواه مؤمنين)[4].

فائدة مجيء (اللّام) و(قد) في ﴿لَّقَدْ﴾:

المبالغةُ في إنكارِ الفعلِ الشّنيعِ المُستنْكَر مقصدٌ في السّياق

﴿لَّقَدْ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ تتضمّن اللّام، وهي الموطِّئة لجوابِ قَسَم مُقدَّر، والتَّقدير: (واللّه لقدْ جئتَ شيئًا نُكْرًا)، والقَسَمُ واللّامُ أفادتا التّوكيد لكلامِ موسى واعتراضه على قتل الغلام[5].

كما تتضمّن ﴿لَّقَدْ﴾ حرف التحقيق (قد) الذي يُقرّب الماضي من الحال ويجعله أقربَ للتَّحقيق، بما يفيدُ هنا تأكيدَ المخبَر به[6]، وهو مجيء الخَضِر بالفعلِ الشنيع المنكر.

إذن في توالي المُؤكِّدات (القَسَم ولامه)، و(قد) مبالغةٌ من موسى ﷺ في إنكاره على الخَضِرِ هذا الفعل الشنيع المنكر؛ وهو قتل الغلام.

(1) السيوطي، الإتقان: 2/ 216.
(2) العُكْبَريّ، التبيان: 2/ 856، وابن عادل، اللُّباب: 12/ 538.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 736.
(4) البِقاعيّ، نَظْم الدّرر: 12/ 113، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 22.
(5) الزّجّاج، معاني القرآن: 1/ 186، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 375.
(6) المُرادي، الجَنى الدّاني، ص: 255.

دلالة التّعبير بالمجيء ﴿جِئْتَ﴾ ماضيًا:

التَّعبيرُ بالمجيءِ ماضيًا أنسبُ للمقامِ والسياقِ وأدلُّ على المبالغةِ في الإنكار

عبَّر النَّصُّ القرآني بالمجيء في قوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ كما في الآية السابقة عند خرقِ السفينة؛ والسرّ في التعبير بالمجيء في الموضعيْن واحدٌ، وهو كونه أعمَّ وأَشْمَلَ من الإتيان؛ إذ هو تمامُ الإتيان، وأنسبَ للمقامِ والسياق؛ إذِ المجيءُ يكون في الشَّيء الّذي فيه صعوبة وشدَّة وقصدٌ وتدبير، وهو مقامُ قيام الخَضِر لفعلٍ لا ترضاه العقولُ والفِطَر السليمة، وقيامُ موسى بالإنكارِ بكلامٍ أشدّ من الأوّل عندما خُرقتِ السّفينة.

وأكّدَ موسى ذلك الإنكارَ باستخدامِ صيغة الماضي ﴿جِئْتَ﴾ التي تفيدُ التَحقُّقَ والوقوع؛ أيْ: لقد وقعَ منك هذا الشَّيء العظيم[1]، وناسبَ ذلك أنْ سُبق بحرفِ (قد) الذي يفيدُ التحقيق؛ إذ سبقَ الفعل الماضي، بما يفيدُ زيادة المبالغةِ في الإنكار، كما ناسبَ التعبير بالماضي معنى المجيء الذي هو الحصول والتحقّق، ووافق عادةَ القرآنِ التي لم يَرِدْ لفظ المجيء في القرآن إلا ماشيًا بما يُفيدُ الحدوثَ الفعليَّ وتحقّق الوقوع.

معنى ﴿شَيْـًٔا﴾ وسِرُّ تنكيره:

الأمرُ النُّكْرُ مهولٌ وشنيعٌ لا يمكنُ حصرُ فظاعته

الأصلُ في لفظ (شيء) أنّه اسمُ جنسٍ يعمُّ ما يُطْلَقُ عليه[2]، وهو الّذي يصحّ أن يُعْلَمَ ويُخْبَرَ عنه، ومعناه في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾: مجيئًا نُكْرًا، إنْ أريدَ به المصدر، أو: جئتَ أمرًا مُنكرًا، إن أُريدَ به المفعول به[3].

وأمّا سرُّ تنكيره في الآية فلإفادةِ التهويل والتَّعظيم لهذا الفعلِ الشنيع الَّذي قامَ به الخَضِرُ من قتلِ نفسٍ زكيّةٍ بغيرِ نفس، وكأنّه نُكْرٌ لا يمكنُ حصره، ولا يمكنُ وصف مقدارِ فظاعته.

(1) المُرادي، الجنى الدّاني، ص: 255، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/ 228.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/ 54.
(3) ابن عادل، اللُّباب في علوم الكتاب: 12/ 538.

سرُّ التَّعبير بقوله ﴿نُّكۡرًا﴾:

التّعبيرُ بلفظِ النُّكرِ مناسبٌ لما تُنكرهُ العقولُ والشّرائع

عبّر البيانُ الإلهيّ بلفظ ﴿نُّكۡرًا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا نُّكۡرًا﴾ دون غيره؛ لمناسبته السياق الذي يتحدّث عن فعلِ القتلِ لنفسٍ زكيّةٍ بغيرِ نفسٍ ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ و﴿أَقَتَلۡتَ نَفۡسَۢا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ﴾، وهو فعلٌ على خلافِ ما يعرفه ويتوقّعه موسى من الخَضِرِ، والخارجُ عن كلِّ مألوفٍ ومعروف، وهو فعلٌ تكرههُ النفسُ وتنفرُ منه، ولا يقبله القلبُ ولا يعترفُ به اللسان، وهو أمرٌ داهيةٌ وصعبٌ وشديدٌ[1]، إذ كلُّ ما قَبَّحهُ الشَّرعُ وحَرَّمَهُ وكَرِهَهُ فهو مُنكَرٌ[2]، فكلُّ هذه المعاني للفظ النُّكر تتناسب مع هذا الفعل الشنيع وهو القتل، وكذلك يتناسبُ مع حالِ موسى عليه السلام؛ وهو نبيٌّ من أولي العزم، ومقامُ الأنبياء مقامُ شِدّةٍ وصراحةٍ في تغيير المُنكر.

وكذلك لأنّه فعلٌ شنيعٌ تحقّقَ بشكلٍ مباشرٍ ولا سبيلَ إلى تداركِ الحياةِ معه، إذ قد أُزهقتْ روحُ الغلام وانتهى الأمر، بينما الخرْق في سياق قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرًا﴾، وإن كان فعلًا شنيعًا لكنّه ليس في شناعةِ القتل؛ فهو إضرارٌ غيرُ مباشر، ولا يلزمُ منه الغرق؛ إذ قد يتحقّق الغرَق وقد لا يتحقّق؛ إذ يمكن سدُّ الخرْق[3]، ولذلك قيل: النُّكر أشدُّ من الإمرِ، والمعنى: لقد جئتَ شيئًا أنكرَ من الأوَّل وأشدَّ في فظاعته واستنكارِ العقول له[4].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نكر).
(2) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديُّ، تاج العروس: (نكر).
(3) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 487، وأبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 208 - 209، والبِقاعيّ، نَظْم الدّرر: 12/ 113، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 375.
(4) الواحدي، التفسير البسيط: 14/ 92، والمراغي، تفسير المراغي: 15/ 179، وطنطاوي، الوسيط: 8/ 556.

الجُزْءُ السَّادِسَ عَشَرَ

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»